الإدارة الفرنسية في تونس
1939 – 1955

ميثم عبد الخضر جبار السويدي
وزارة التربية الكلية التربوية -المركز الدراسي في بابل

المقدمة

أعطت الفترة من تاريخ الاحتلال الفرنسي نتائج في صياغة مشاريع عديدة واخصها السياسية والإدارية معا اذ إن الجانب السياسي يعطينا مؤشرا مهما عن الأوضاع السياسية التي عاشتها تونس في تلك الفترة باعتبارها منطقة نفوذ للاحتلال الفرنسي في منطقة العربية والأفريقية معا و لعقود طويلة من الزمن .

وقد أنتجت تلك المرحلة من الاحتلال للإدارة الفرنسية في تونس مبدأ التنافس الواضح لكل من بريطانيا وايطاليا بدليل أن فرنسا تسارعت في توجيه أنظارنا إلى تونس في أعقاب احتلالها إلى جزائر .

تكمن أهمية البحث من جانبين سياسي وأداري ففي الجانب السياسي يعطينا مؤشرا مهما على الأوضاع السياسية التي كانت تعيشها بلاد المغرب العربي بوجه عام وتونس على وجه الخصوص والتي يمكن عدها أنها جاءت بعد اخطر مرحلة مرت في تونس منذ الحرب العالمية الأولى بحيث كادت تلك الأحداث أن تؤدي بالبلاد إلى الهلاك والدمار. هذا بالإضافة إلى الدور الاستعماري الذي لعبته قوى أوربية في سعيها لإيجاد مناطق نفوذ لها في المنطقة العربية والأفريقية طيلة عقود عديدة من الزمن .

قسم البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة فضلا عن قائمة بأسماء المصادر التي اعتمد عليها الباحث، تم المبحث الأول استعراض الجذور التاريخية للاحتلال الفرنسي لبلاد المغرب العربي والعوامل التي شجعت فرنسا في توجيه أنظارنا نحو تونس بعد احتلالها للجزائر، وشعور حكام تونس (البايان) بالخطر الفرنسي على تونس وكذلك هناك العديد من الدول التي اتجهت أنظارنا إلى تونس فقد كانت تنافسها كل من بريطانيا وايطاليا.

ورغم الجهود التي بذلها حكام تونس للنهوض بالبلاد وإصلاح شؤونها فقد تورطوا في علاقتهم المالية بالأجانب واستعانوا بالشركات البريطانية والفرنسية والايطالية في مشروعاتهم وبذلك فقد مهدوا الطريق أمام المستعمرين ليحققوا مطامعهم في البلاد.

أما فيما يخص المبحث الثاني فقد سلط الضوء على التنظيمات السياسية للحركة الوطنية التونسية للفترة من عام 1920_ 1939 حيث كانت الحركة الوطنية التونسية تتمثل بشخصيات معينة كان على رأسها عبد العزيز الثعالبي مؤسس الحزب الدستوري التونسي والذي كان يطالب باستقلال تونس عن فرنسا طيلة الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية، وتقوم حركة الإصلاح لدى الثعالبي على أن مصدر التشريع الملائم للبلاد العربية هو تراثها العربي الإسلامي، وان العرب امة واحدة لابد من أن تتوحد فدعا إلى الوحدة العربية .

وقد عالج المبحث الثالث الإدارة الفرنسية في تونس فضلا عن الحركة الوطنية التونسية خلال الحرب العالمية الثانية وما بعدها إلى أن نالت تونس استقلالها في 20 آذار من عام 1956، حاولت السلطات الفرنسية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية أرضاء الحركة الوطنية فطرحت مشروعا للإصلاح يستند إلى تأسيس حكومة نصف أعضاؤها من تونسيين والنصف الآخر من الفرنسيين وعلى الحد من النفوذ الفرنسي في تونس وقد رفضت الحركة الوطنية المشروع لأنه لم يضمن أية استجابة إلى مطالبيها وأعلنت فرنسا مشروعا جديدا للإصلاح في آب 1947 وقد رفضته الحركة الوطنية أيضا، وكانت تلك بداية الثورة التونسية والتي أفضت إلى استقلال تونس عام 1956. ومما شجعني على أن أتناول موضوع البحث هو أن الدول الاستعمارية وخاصة فرنسا قد لبست ثوب الرهبان وأعطت لنفسها صفة الحضارة والإنسانية في الوقت الذي قسمت فيه البلاد العربية إلى أشلاء، فتحاشت كلمة استعمار واستغلال وأبدلتها بكلمة جديدة في قاموس الدبلوماسية وهي كلمة (الانتداب) وادعت فرنسا أنها ستعمل على رفع مستوى البلاد التي كانت خاضعة تحت نير الانتداب حتى تصل بها إلى مرحلة تستطيع بواسطتها تلك الدول من أدارة سياستها بنفسها . اعتمدت البحث على العديد من المصادر المتنوعة، كان لبعضها أهمية كبيرة في ألقاء الضوء على متابعة تطورات الأحداث في تونس وخاصة فيما يتعلق بالحركة الوطنية التونسية، منها كتاب الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية جديدة، 1830_1956، تونس وكتاب علي ألحبوبي، انتصاب الحماية الفرنسية على تونس، وكتاب محمد عبد الله عودة وإبراهيم ياسين الخطيب، تاريخ العرب الحديث، لما تضمنته تلك المصادر من معلومات وافية عن فترة موضوع البحث، فضلا عن العديد من المصادر التي أغنت البحث في الكثير من المعلومات . وفي الختام أتمنى أن أكون قد وفقت في أعطاء

الموضوع حقه فلقد حاولت قدر الإمكان الوصول إلى أراء موضوعية موثقة حول الموضوع فان أصبت فمن الله التوفيق وان أخطأت فمن نفسي.

المَبحَث الأوَل

الجذور التاريخية للاحتلال الفرنسي على تونس :

في عام 1547 ألحقت تونس بالولايات العثمانية[1] وظل ذلك الوضع حتى نهاية القرن السادس عشر حين ضعفت سلطة الدولة العثمانية على تلك البلاد ولم يصبح لها غير السلطة الاسمية فقط [2] , بل أصبحت السلطة الفعلية بيد ما يسمى (بالبايات) [3] .إلا إن فرنسا قد وجهت أنظارها إلى تونس في أعقاب الاحتلال الفرنسي على جزائر[4] , حينها شعر (بايات) تونس بالخطر الفرنسي على تونس , ولكن الأمر لم يقف عند ذلك الحد بل أن هناك العديد من الدول التي اتجهت أنظارها إلى تونس فقد كانت تنافسها كل من بريطانيا وإيطاليا ورغم الجهود التي بذلها (البايات) للنهوض بالبلاد وإصلاح شؤونها فقد تورطوا في علاقاتهم المالية بالأجانب واستعانوا بالشركات البريطانية والفرنسية والإيطالية في مشروعاتهم وبذلك فقد مهدوا الطريق أزاء المستعمرين ليحققوا مطامعهم في البلاد

وكانت الأوضاع في تونس هي شبيه بالأوضاع التي كانت سائدة في مصر أيام الخديوي إسماعيل[5] بل كانت النتائج التي ترتبت عليها متماثلة لدى البلدين كان البايات يحكمون في تونس حكماً مستقلاً ولكنهم كانوا تابعين إلى الدولة العثمانية من الناحية الروحية , وكان احد البايات وهو الباي (أحمد باشا) (1839 – 1855) يرغب في إصلاح البلاد , وكان من بين تلك الإصلاحات هو إنشاء مدرسة عسكرية , ودعا ضباطاً فرنسيين للعمل بها كأساتذة وإنشاء مصنعاً حربياً , وكذلك قام الباي بتشجيع التعليم , وقد زار فرنسا فأعجب بما رأه فيها , وبحضارتها المادية , وحاول بناء قصر يشبه في تصميمه قصر فرساي, وقاد هذا الترف والبذخ إلى وقوع تونس في أزمة مالية ساعد على تفاقمها[6] فالحركة الإصلاحية في تونس ارتبطت بالمشكلة المادية التي نشأت بسبب إسراف البايات وطمع الوزراء ومن ثم العجز الذي أصاب الميزانية العامة للدولة عن مسايرة ما تطلبته وجوه الإصلاح المختلفة من نفقات خاصة بعد انتشار المجاعات والأمراض , وانتهى الأمر بارتباط تونس بالدول الأجنبية سبب الديون التي تراكمت عليها , وأدى ذلك إلى الإشراف المالي عن طريق (لجنة دولية) وبذلك مهد الطريق أمام الاحتلال الفرنسي إلى تونس واستمرت الحكومة التونسية في الاستدانة من الخارج , كما لجأت إلى إصدار سندات على الخزانة واضطرت الحكومة إلى إعلان إفلاسها , وكانت فرنسا تترقب تلك الخطوة ولم يكن يعوقها أي شيء في التدخل في ذلك

---

[1] 1- تعود العلاقات العربية – العثمانية إلى أوائل القرن السادس عشر الميلادي مما جعلها ذات طابع خاص وفريد , فلقد بدأت حركات الاستيلاء على الأراضي العربية سنة 1516 بعد أن انتصر السلطان سليم الأول (1512 – 1520) على جيش المماليك في موقعة (مرج دابق) قرب حلب , وهذا النصر فتح أمام العثمانيين أبواب بلاد الشام والحجاز بأجمعها وفي السنة التالية دخل مصر وقضى على دولة المماليك , وبعد ذلك انساح العثمانيون في البلاد العربية يستولون عليها الواحدة بعد الأخرى . للمزيد من التفاصيل , أنظر : ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية , (د.م, 1957) , ص1 – 6 0

[2] 2- احتلت الدولة العثمانية تونس في عام 1573 بقيادة سنان باشا العثماني . لمزيد من التفاصيل عن الموضوع ينظر , إبراهيم خليل أحمد , تأريخ السيطرة العثمانية على أقطار الوطن العربي , الموصل , مطبعة جامعة الموصل , 1982 , ص141 ,كذلك ينظر : إبراهيم بك خليل , تأريخ الدولة العثمانية العلية , ط1 , عمان , مطبعة مؤسسة المختار , 2004 , ص309 0

[3] 3- الباي كان الحاكم العثماني في تونس يدعى بالباي وتعني السيد باللغة العثمانية , وكانت سلطتهم وراثية وهي شبه سلطة الوالي العثمان0

أبو زيدون , وديع , تأريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط , ط1 , عمان , المكتبة الأهلية للنشر والإعلان , 2003 0

[4] 4- في 16/6/1827 أعلنت فرنسا الحرب على الجزائر , ذلك لأن حاكم الجزائر (الداي حسين) كان قد رفض تقديم اعتذار للحكومة الفرنسية , خاصة وإن الأسطول الجزائري كان قد تحطم في معركة (نافارين) في شبه جزيرة المورة باليونان عام 1827 , وكان عدد القوات التي أرسلتها فرنسا لاحتلال الجزائر على النحو التالي , 36 ألف من قوات المشاة , وأربعة آلاف من قوات الخيالة إلى جانب السفن والبواخر المحملة بالمؤن وكذلك سلاح المدفعية والعتاد الحربي الضروري للحملة التي كانت بقيادة (الكونت دي بورمون) , ومما يجدر الإشارة إليه إن الجيش كان قد شارك في العديد من الحروب التي خاضها نابليون في القارة الأوربية , ومما أكسبه خبرة في الميدان العسكري , وقد انطلقت الحملة العسكرية من ميناء طولون مروراً بالجزر الاسبانية في البحر المتوسط على ان وصلت إلى ميناء سيدي فرج , وتقدمت لاحتلال الجزائر وتم لها ذلك في عام 1827 , لمزيد من التفاصيل ينظر : أبو القاسم سعد الله ' الحركة الوطنية الجزائرية , ج3 , مطبعة دار العرب الإسلامية , بيروت , 1992 0

[5] 1- الخديوي إسماعيل (1863 – 1879) ,هو ابن عم إبراهيم بن محمد علي والي مصر , ولد بالقاهرة في 21 كانون الأول عام 1830 , وعني والده بتربيته , فتعلم مبادئ العلوم واللغات العربية والتركية والفارسية , وفي السادسة عشرة من عمره التحق بالبعثة الدراسية المصرية الخاصة في باريس , فدرس العلوم الهندسية والطبيعية والرياضيات , فضلاً عن إتقانه الفرنسية , ثم عاد إلى مصر , فرحب به عمه محمد سعيد , وعينه رئيساً لمجلس الأحكام , ثم ولياً للعهد , وفي 18 كانون الثاني عام 1863 أصبح والياً على مصر . ينظر : جرجي زيدان , تأريخ مصر الحديث , ج2 , ط2 , القاهرة ,مطبعة الأهالي , 1911 , ص203

[6] 2- جميل بيضوي وآخرون , تاريخ العرب الحديث , ط1 , أربد , الأردن , مطبعة دار الأمل , 1992 , ص110 0

الوقت إلا منع بريطانيا وإيطاليا , وكان على فرنسا أن تأخذ خطوة حاسمة بشأن تونس فأتفق في ابريل (نيسان) 1868 على تشكيل (قومسيون مالي) كما أطلق عليه , وهو شبيه بصندوق الدين في مصر , وعلى إن الأمر الذي تحكم في تحديد الدولة التي يمكن أن تستفيد من الموقف , وتوجه ضربتها النهائية إلى تونس هو الظروف الدولية والعلاقات بين الدول الكبرى ومصالحها , وقد اهتمت فرنسا بالحصول على موافقة انكلترا بالذات فيما يتعلق بنياتها التوسعية في تونس , كما إن فرنسا كانت قد انتهزت فرصة ضم بريطانيا لجزيرة قبرص لتحقيق هدفها , وكانت تلك الجزيرة تابعة إلى الدولة العثمانية , ففي انعقاد مؤتمر برلين في عام 1878[7] دارت المساومات بين ممثلي تلك الدول , فاتفق على أن لا تعارض بريطانيا في أي تدخل فرنسي في تونس مقابل عدم اعتراض فرنسا على اتفاقية قبرص التي كانت تعتبر نقضاً للاتفاقات الدولية السابقة بشأن عدم المساس بأملاك الدولة العثمانية[8] وكان ما سبق مقدمة لتدخل فرنسا وفرض سلطتها على تونس وذلك عن طريق إيقاع البلاد تحت طائلة الديون وقد منح الأجانب وجالياتهم في تونس حقاً مطلقاً في التجارة والامتلاك للعقارات والأراضي ومساوماتهم مع ابناء البلد مما أدى إلى حكام التدخل الأجنبي تولى الباي (محمد صادق) بعد أخيه (1859 – 1882) الذي حاول إتمام الإصلاح إلا إن فرنسا كانت تراقب الأمور عن كثب وتحارب كل خطوة إصلاحية وبالفعل فقد حل المجلس الاستشاري الوحيد عام 1864 [9] وعلى الرغم من ذلك فقد تابع محمد صادق سياسة الإصلاح عن طريق الوزير (خير الدين التونسي)[10] الذي حاول إخراج البلاد بثوب متقدم حديث على منوال الدول المتقدمة , حيث استطاع نقل البلاد من الفوضى والظلم إلى حالة من الأمن والاستقرار والرقي في كافة مرافق الحياة محاولاً حفظ البلاد من الناحية السياسية داخلياً والمحافظة على استقلالها التام من كل تدخل أجنبي, إلا إن الأطماع الأجنبية كانت تقاوم كل حالات الإصلاح ولم تبق من عقبة بوجه فرنسا لتحقيق أطماعها في تونس إلا إيطاليا , وقد حاولت فرنسا أن تحول دون معارضة إيطاليا لها في تونس فأشارت إلا أنه في وسع إيطاليا أن تحتل طرابلس فتجد فيها أفضل تعويض عن أطماعها في تونس وإن فرنسا لن تعترض عليها فيما إذا أقدمت على ذلك العمل[11] وأصبحت الظروف مناسبة في نظر الفرنسيين حينما عبرت إحدى القبائل التونسية الحدود الفاصلة بين الجزائر وتونس , واقتفت بعض السرقات البسيطة بين الرعاة , فأعدت فرنسا حملتها مدعية إن مهمتها هي تأديب تلك القبائل والتي لا يملك الباي عليها سلطانا وفي ابريل (نيسان) من عام 1881 عبر الجنود الفرنسيون الحدود واحتلوا الكاف (وطبرقة) دون أدنى مقاومة , كما أنزلت فرنسا بعض قواتها التي أبحرت من ميناء طولون في بنزرت , وبعد احتلالهم لها تقدموا باتجاه العاصمة , وقدم السفير الفرنسي إلى الباي نسخة من المعاهدة المطلوب التوقيع عليها , وأعطى مهلة خمس ساعات للموافقة عليها أو رفضها , وبعدها اضطرالباي القبول بالمعاهدة والتوقيع عليها وعرفت فيما بعد معاهدة بورود[12]0وفي يونيو 1883

---

[7]1- انعقد مؤتمر برلين (حزيران – تموز 1878) لبحث بنود معاهدة سان ستيفانو جرت مفاوضات خلف الكواليس دارها بسمارك نجم عنها تشجيع فرنسا لاحتلال تونس , وعندما ساءت العلاقات الألمانية – الروسية بعد مؤتمر برلين وفي عام 1879 , وعندما حشدت روسيا قواتها على الحدود الألمانية أصبحت إمكانية التوصل إلى حلف فرنسي – روسي قائمة لأكدت ألمانيا رسمياً في عام 1879 يأنها لا تمانع أي نشاط فرنسي استعماري في شمال أفريقيا وشجعت ألمانا الجهود الفرنسية في احتلال الأراضي الواقعة غرب الجزائر بدلاً من التركيز على الحدود الألمانية ثم أتضح هذا الموقف بصورة جلية عندما أيدت ألمانيا موقف فرنسا في مؤتمر مدريد (مايس – تموز 1880) الذي ناقش موضوع الحماية القنصلية في المغرب يقظان سعدون العامر , خصوصيات استعمارية الجمهورية الفرنسية الثالثة 1870 – 1914 و مجلة المؤرخ العربي , العدد 51 , 1994 – 1995 , ص49 – 77 0

[8]2- محمد الهادي الشريف , ما يجب أن تعرف عن تأريخ تونس , ط3 , مطبعة دار سلاس للنشر , تونس , 1993 , ص112 0

[9]3- أحمد أمين , زعماء الإصلاح في العصر الحديث , القاهرة و مطبعة المحفظة المصرية , 1949 , ص157 0

[10]4- خير الدين التونسي : من الألقاب التي اشتهر بها السياسي والمفكر الإصلاحي خير الدين التونسي لقب أبو النهضة التونسية الحديثة , بدأ الرجل حياته مملوكاً في أحد بيوت الأشراف في الأستانة , إلا إن القدر شاء له أن ينتقل على بيت الباي أحمد التونسي ومن ثم تقلد عدة مناصب إدارية مهمة منها وزير ثم رئيس الوزراء وبعدها إلى الصدر الأعظم 0 ومما تجدر الإشارة إليه أنه كان وراء تأسيس أول برلمان تونسي منتخب , وللمزيد من التفاصيل عن هذه الشخصية ينظر : سمير أبو حمدون , خير الدين التونسي , بيروت , مطبعة الشركة العالمية للكتاب , 1992 , ص8 0

[11]1- علي المحبوبي و انتصاب الحماية الفرنسية على تونس , تونس , مطبعة دار سراس للنشر , 1986 , ص60 0

[12]2- نصت معاهدة بوردو على ما يلي : والتي وقعت بتأريخ 12 مايو 1881 على أن تحتل القوات الفرنسية المركز التي تراها مناسبة لاستتباب الأمن والنظام بالحدود والسواحل , ويزول ذلك الاحتلال عندما تقرر السلطات الفرنسية والتونسية إن الإدارة المحلية قادرة على الأمن والنظام , إن الدولة الجمهورية الفرنسية ودولة سمو باي تونس لما كان من غرضهما أن يمنعا إلى الأبد حدوث قلاقل كالتي حصلت أخيرا على حدود الدولتين بسواحل المملكة التونسية وان يحكما علاقات ودادهما القديم وروابط حسن الجوار , وقد اتفقا على عقد من شأنها تحقيق مصالح كلا الجانبين الساميين المتعاقدين , وبناء على ذلك فان فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية قد عين جناب الجنرال بريبار نائباً مفوضاً من طرف , فتفق جنابه مع سمو الباي المعظم على بنود الاتفاقية الآتية :

وقع علي باي الذي خلف محمد الصادق بعد وفاته في اكتوبر 1887 (معاهدة المرسى) [13] 0والتي منحت فرنسا السلطة الكاملة في تونس[14] لقد تمثلت السياسة الاستعمارية الفرنسية في تونس بما يلي ..

1. السيطرة الاستعمارية المباشرة دون إلغاء منصب الباي كما فعلت بالجزائر 0
2. تعيين مقيم عام فرنسي دائم بمرسوم دائم من رئيس الجمهورية الفرنسية في تونس وهو حاكم عام للبلاد وسكرتير عام للحكومة التونسية وهو يشبه رئيس الوزراء 0
3. إقامة مجلس استشاري للرقابة المالية يمثل أصحاب المصالح من الفرنسيين مهمته النظر في الموازنة والموافقة عليها 0
4. وضع نظم إدارية تخدم مصلحة الفرنسيين وتسهيلات لمهمة رجال الاحتلال 0
5. احتكار الإدارة العامة والمناصب الكبرى بتعيين رجال عسكريين فرنسيين مسؤولين عنها 0
6. وضع رقابة على مدخولات البلاد بحجة تأمين مصالح أصحاب الديون الأجانب على التونسيين مما سهل سيطرة الفرنسيين على الأراضي التونسية لا سيما الخصبة منها 0
7. إدخال التعليم الفرنسي في مدارس خاصة لأبناء طبقة معينة من أجل تخريج فئة معجبة بالثقافة الفرنسية لتكون عوناً لفرنسا في السيطرة على الشعب التونسي[15],منعت فيها الثقافة العربية لإدخال بعض أبناء الطبقة الخاصة من العرب الذين تخرجوا منها جاهلين لفتهم وتراثهم 0

ومنعت المدارس العربية وكان بصيص الأمل يتمثل بجامع الزيتونة الذي اقتصر التعليم فيه على العلوم الدينية واللغوية ونشر الثقافة الإسلامية , لذلك كان جامع الزيتونة الحصن الحصين للثقافة العربية الإسلامية لكل بلاد المغرب العربي و والذي لم يستطع الفرنسيون من السيطرة عليه[16]وفي خلال الحرب العالمية الأولى وقف الشعب التونسي إلى جانب فرنسا آملين أن ينالوا استقلالهم وحق تقرير المصير , وبعد الحرب طالب التونسيون بحقهم في نيل الاستقلال , فنشأ حزب الحر الدستوري التونسي بزعامة (عبد العزيز الثعالبي)[17] , وكان رجالاته من خريجي جامع الزيتونة , وقد استطاع هذا الحزب نيل ولاء غالبية الشعب التونسي بسبب تجاوبه مع مطاليب الشعب التونسي , ولكن الحكومة الفرنسية كانت قد وقفت ضد مطالب الحزب بتحسين أوضاع التونسيين من أجل الوصول إلى هدف الاستقلال , ومن ثم ظهرت حركة (محمد المزالي) التي تنادي بفكرة العمل السياسي الجماعي , ومنها حركة ظاهر الحداد الذي نادى بالإصلاح الثوري بقيام صراع بين المجتمع القومي والرأسمالي الاستعماري ثم ظهرت حركة عالمية نادت بالإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية وتدعيمها لتكون ركيزة أساسية للنضال السياسي والمقاومة الوطنية , وقد استطاعة تلك الحركة تأسيس نقابات لكثير من الأعمال والمهن[18]0

البند الأول ... إن معاهدة الصلح والمودة والتجارة وجميع المعاهدات الأخرى بين الجمهورية الفرنسية وسمو باي تونس قد وقع تأكيدها وتمديدها 0

البند الثاني ... لأجل إسهام القيان بالإجراءات التي يتحتم على دولة رئيس الجمهورية الفرنسية اتخاذها للوصول إلى الغرض الذي يقصده الجانبان العاليان المتعاقدان فقد رضي سمو باي تونس بان تحتل القوات الفرنسية العسكرية المراكز التي تراها صالحة لاستتباب الأمن بالحدود والسواحل , ويزول هذا الاحتلال عندما تتفق السلطتان الفرنسية والتونسية وتقرران معاً بان الإدارة المحلية قد أصبحت قادرة على المحافظة على استباب الأمن ,لمزيد من التفاصيل ينظر :إحسان حقي , تونس العربية بيروت , مطبعة دار الثقافة,1965, ص125 0

[13]1- شوقي الجمل و عبد الله عبد الرزاق إبراهيم , تأريخ أفريقيا الحديث والمعاصر , الرياض, مطبعة دار الزهراء , ط2 , 2002 , ص277 0

[14]2- لقد جاءت اتفاقية المرسى لتؤكد على الوضعية التي أصبحت عليها فرنسا وليمكنها من وضع الإدارة التونسية تحت أنظار المقيم العام الفرنسي , علي المحجوبي , المصدر السابق , ص85 0

[15]

3- جميل بيضوي وآخرون ,تأريخ العرب الحديث,ط1,أربد ,الأردن,مطبعة دار الأمل ,1992, ص110 0

[16]1- جميل بيضوي وآخرون و المصدر السابق ,ص111 0

[17]2- ولد عبد العزيز الثعالبي في عام 1867 وتوفي في عام 1944 وكان من أبرز قادة النضال في تونس كما أنه صاحب فكرة تأسيس الحزب الحر الدستوري التونسي لمزيد من التفاصيل ينظر صالح الخرفي , عبد العزيز الثعالبي من أثاره واخباره في المشرق والمغرب , تونس , مطبعة دار الغرب الإسلامي , 1994 , ص254 0

[18]3- محمد عبد الله عودة وإبراهيم ياسين الخطيب , تأريخ العرب الحديث , بيروت , مطبعة الأهلية للنشر والتوزيع , د,ت,ص123 0

المَبحَث الثاني
التنظيمات السياسية للحركة الوطنية التونسية 1920 – 1939

في عام 1919 وبعد انعقاد مؤتمر الصلح في باريس[19] أتصل الزعيم عبد العزيز الثعالبي بالمؤتمر , وقدم إليه مذكرة تتعلق باستقلال تونس وتطالب بتطبيق مبادئ ولسن الأربعة عشر[20] ونشر في باريس كتاب بعنوان (تونس الشهيدة) فضح فيه وبشكل كبير دسائس الاستعمار وإجرامه في حق الشعب التونسي , وقد تلقفت الجماهير المثقفة في تونس والمغرب العربي , الأمر الذي أدى إلى اعتقاله من قبل السلطات الفرنسية ومن ثم زجته في أحد سجونها 0ومن الغريب أن تعرف بأن المستعمرين كانوا قد اتهموا عبد العزيز الثعالبي بالزندقة والخروج عن تعاليم الدين الإسلامي الحنيف , وكانوا قد حاكموه من قبل على أنه زنديق خاصة بعد نشر كتابه (الروح الحرة في القرآن) وقد اتفقت الرجعية الدينية والمستعمر معاً ضد مفكر ينادي بالإصلاح الديني , وهذا التحالف ظاهر لابد وأن تلفت النظر ولم لحدث مثلها على هذا النحو في أي مكان في الوطن العربي , وهذا يكشف عن حالة خطورة الدعوة الاجتماعية الكامنة وراء الموقف الديني للثعالبي بحيث تألبت الرجعية والاستعمار ضده , وعندما بلغ نبأ اعتقال عبد العزيز الثعالبي بعد موقفه في باريس ونشره كتاب (تونس الشهيدة)[21] ودفاعه عن القضية التونسية في المحافل الدولية , وكان هذا الأمر هو الذي دفع بجماهير تونس بأن تخرج إلى المظاهرات والاضطرابات في كافة أنحاء تونس , وأخذت تلك الجماهير تدمر كافة المصالح الأجنبية وتحت الضغط الشعبي الهائل أجبرت فرنسا على إخلاء سبيله , فالتف حوله الشعب والطبقات المثقفة والمناضلون ودعوا إلى تأسيس حركة سياسية وطنية تنظم النضال الوطني , فتأسس الحزب الدستوري التونسي ,وانتخب عبد العزيز الثعالبي رئيسا للحزب والمحامي أحمد الصافي أميناً عاماً له فبدأ هذا الحزب في تكوين الشعب والفروع في أنحاء البلاد التونسية جميعاً وبث الدعوة الوطنية في نفوس المواطنين ورص صفوفهم ليكونوا أداة الكفاح[22] الوطني ضد الاستعمار , وقد قام الحزب الدستوري الوطني في عام 1920 على مبادئ تطالب بنظام دستوري لتونس , ومن ثم تأليف حكومة وطنية تكون مسؤولة أمام الشعب , باعتبار أن تونس أول بلد عربي أعلن الدستور في سنة 1865 يمنح نواب الشعب حق المشاركة في الحكم وحتى له الحق في خلع الباي 0إن عبد العزيز الثعالبي إلى جانب كونه زعيم وطني وزعيم حركة وطنية كان من أركان الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي والإصلاح الفكري الديني الذي قامت عليه حركة الإصلاح والحرة الوطنية التونسية[23] وتقوم حركة الإصلاح لدى الثعالبي على إن مصدر التشريع الملائم للبلاد العربية هو تراثها العربي الإسلامي , وإن العرب أمة واحدة لابد من أن تتوحد فدعا إلى الوحدة العربية في الثلاثينيات , وقد كتب في مجلة (الشهاب) على سبيل المثال التي كانت تصدر في الجزائر في عدد حزيران عام 1939 تحت عنوان (الوحدة العربية في طريق

---

[19]1- بدأ المؤتمر جلساته في 18 كانون الثاني 1919 , في قاعة المرايا بقصر فرساي قرب باريس اعترافا بالدور الذي قامت به فرنسا في الحرب العالمية الأولى . وحضر المؤتمر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ودورو ولسن وأحد عشر رئيس وزراء من أشهرهم جورج كليمنصور رئيس وزراء فرنسا وديفد لويد رئيس وزراء بريطانيا , كما حضر المؤتمر أثنى عشر وزير للخارجية ولم يُدع مندوب روسيا السوفيتية الاشتراكية لحضور المؤتمر , كما لم تحضر المؤتمر الدول المندحرة بالحرب . للتفاصيل أنظر : محمد يوسف إبراهيم , ونستون تشرشل ودوره في السياسة البريطانية حتى عام 1945 , أطروحة دكتوراه غير منشورة , كلية الآداب , جامعة بغداد , 2005 , ص96 0

[20]2- ودرو ولسن : رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الثامن والعشرون . ولد بولاية فرجينيا لعائلة ثرية ودرس الفلسفة والقانون والتأريخ في جامعتي كومبيا وبرنسون حصل على شهادة الدكتوراه في القانون علم 1879 , وعمل في مجال التدريس الجامعي . أصبح رئيس جامعة برنسون بين 1902 -1910 . حاكم لولاية نيوجرسي بين 1910 -1912 . مرشح الحزب الديمقراطي , وأصبح رئيس للولايات المتحدة ودخل البيت الأبيض سنة 1913 حتى عام 1921 اشتهر بمبادئه الأربعة عشر للتفاصيل ينظر : عبد المجيد نعني , تأريخ الولايات المتحدة الأمريكية , بيروت , مطبعة دار النهضة العربية , 1983 , ص159 0

[21]3- صدر كتاب تونس الشهيدة من مطبعة دار الغرب الإسلامي تعريب حمادي الساحلي وقد صدرت طبعته الأولى عام 1984 والطبعة الثانية عام 1988 وتصدرت الكتاب مقولة إلى الحبيب بورقيبة قال فيها (لقد أخفيت الكتاب تحت غطائي وطالعته خلسة وأنا متأثر شديد التأثر فاطلعت على ما ورد فيه من أرقام وما تضمنه من معلومات عن الضحايا والفقر وشعرت بما جره علينا الاستعمار من ذلٍ وهوانٍ وكنت ابكي . ينظر : صالح الخرفي , بعد العزيز الثعالبي من آثاره وأخباره في المشرق والمغرب ,ط1,تونس , مطبعة دار الغرب الإسلامي , 1995,ص19 0

[22]1- عبد الملك خلف التميمي , الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي , الكويت , مطبعة الرسالة , 1983 , ص47 0

[23]2- الطاهر عبد الله , الحركة الوطنية التونسية , رؤية شعبية قومية جديدة , 1830-1956 , تونس , منشورات دار المعارف للطباعة والنشر , 1993 , ص55 0

الاستقلال) كتب يقول (الوحدة العربية كيان ثابت غير قابل للتجزئة والانفصال يشغل قسماً كبيراً من رقعة آسيا الغربية وشطراً كبيراً من أفريقيا يمتد رأسه في الشرق من المحيط العربي إلى المحيط الأطلسي[24] ولما شعرت فرنسا بقوة وتعاظم القوى الوطنية لجأت إلى المماطلة والتسويف وغيرت المقيم العام بمقيم عام جديد لم تكن تعرف تونس أشد منه دهاء ومكراً وهو (لويسان سان) حيث شرع بإقامة الأحكام العرفية وأدخل بعض الإصلاحات على مجلي الشورى الذي أصبح يدعى بالمجلس الكبير[25] وكذلك اوجد وزارة العدل وأطلق الحريات العامة وفق مخطط استعماري نسج خيوطه لكي يتسنى له بعد ذلك إغراق تونس بالجاليات الأجنبية والأوربية من الإيطاليين والاسبانية فضلاً عن الجاليات الفرنسية الضخمة ومن ثم دمج تونس بفرنسا وهي خطة فرنسية ذكية انخدعت بها بعض القوى الوطنية التونسية , الأمر الذي أدى إلى انشقاقات في الحزب الدستوري التونسي , وبعد أن رفضت الحركة الوطنية التونسية مناورات المقيم الفرنسي أيدت مجموعة من الحركات تلك الإصلاحات وقبلوا بها وأسسوا حزباً سمي بحزب الإصلاح وكان على رأس ذلك الحزب المحامي حسن قلاتي والشاذلي القسطلي ولم يعمر ذلك الحزب طويلاً وأصبحوا عبارة عن مجموعة من المثقفين الذين يتعاونون مع الاستعمار الفرنسي ضد شعبهم , وبسبب ذلك فقد قادت سلطات الاحتلال حملة من الاعتقالات ضد الحركات الوطنية وقاداتها[26] 0وفي عام 1923 مارست السلطات الفرنسية ضغوطاً شديدة ضد الباي محمد الناصر وحوصر جيشه بالدبابات والجيش , إلا إن الشعب التونسي أستطاع من أن يجر المقيم الفرنسي بفك الحصار عن الباي ومن ثم تنفيذ المطاليب الوطنية إلا إن الوضع كان قد عاد إلى ما كانت عليه الأمور سابقاً حيث عاد الاضطهاد والقمع من جديد يمارس ضد , بحيث نفي الزعيم عبد العزيز الثعالبي إلى الخارج وأصبح متنقلاً ما بين بغداد وفلسطين ومصر , وربط نضال الحركة الوطنية في تونس بالحركات الوطنية في مصر وفي المشرق العربي[27] وفي عام 1929 قررت فرنسا إقامة مؤتمر عام دعت إليه الغلاة من المسيحيين في تونس سمي بالمؤتمر (الافخارستس) وسبب انعقاد هذا المؤتمر هو مرور نصف قرن على احتلال الفرنسي على تونس , وقام الحزب الحر الدستوري بشن حملة ضد ذلك المؤتمر والذي كان الهدف منه هو استعماري بحت حيث أراد المؤتمرون أن ينشروا فكرة إن الاستعمار الفرنسي على تونس هو عمل شرعي , فقد أتى الفرنسيون إلى تونس من أجل تخليص التونسيين من العرب , إلا إن الحركة الوطنية التونسية استطاعت من الوقوف بوجه مقررات هذا المؤتمر مما أدى إلى فشله بالنهاية[28] وفي سنة 1932 كان الرأي العام مشغولاً بقضية التجنيس وكانت هناك مجموعة من المثقفين التي كانت تعمل في جريدة ((العمل التونسية))[29] التي كانت تساند الحزب الدستوري , وكان على رأس تلك المجموعة المحامي الحبيب بو رقيبة , وقد برزت هذه وذلك لرفضها لقانون التجنيس الذي اصدرته الحكومة الفرنسية لتجنيس التونسيين بالجنسية الفرنسية , وقد قاومت تلك المجموعة هذا القانون وخاصة الطاهر صفر الذي كان من أبرز من كتب ضد ذلك القانون , بحجة أنه يحاول تنصير المسلمين وفرنستهم والقضاء على الشخصية العربية 0وفي عام 1933 عقد الحزب الدستوري مؤتمراً استثنائياً وانتخب فيه أسرة جماعة العمل في اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري وهم الدكتور محمود الماطري والمحامي الطاهر صفر والمحامي الحبيب بو رقيبة ولم تمر فترة سبعة أشهر إلا ونشبت الخلافات بين أعضاء جماعة العمل لعدة أسباب منها الصراع بين قيادات جماعة العمل بسبب الصراع على قيادة الحزب كانت البلاد التونسية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية تضم العديد من التشكيلات السياسية ومن القوى التي لا يمكن تحيدها والتي كان الغرض الأساسي منها هو الاستقلال الذاتي او تحرير البلاد فغنها كانت تتقدم بهذا الطلب فبالإضافة إلى الحزب الدستوري الجديد والذي بقي أهم من كل التشكيلات الحزبية الأخرى على السحاحة التونسية , وذلك بفضل ما له من تأثير داخل البلاد , وبفضل ماضيه , كان ثمة الحزب الدستوري القديم الذي كان يضم تحت لوائه أصوات البرجوازية التقليدية , وكذلك

---

[24]3- صالح الخرفي , المصدر السابق , ص32 0

[25]1- الطاهر عبد الله , المصدر السابق , ص57 0

[26]2- جلال يحيى , العالم العربي الحديث , الفترة الواقعة بين الحربين , القاهرة , مطبعة دار المعرف , 1966 , ص687 0

[27]3- الطاهر عبد الله , المصدر السابق , ص59 0

[28]1- الطاهر عبد الله , المصدر السابق ,ص59 0

[29]2- صحيفة العمل التونسي : وهي الصحيفة التي أسسها الحبيب بو رقيبة في تشرين الثاني عام 1932 على أثر خلاف نشب بين مدير صحيفة صوت التونسي وبين هيئة تحريرها وشرعت تلك الصحيفة تطرق موضوعات جديدة مثل الدعوة إلى الأخذ بالصناعات الوطنية التونسية وبسياسة التفرقة بين رواتب الموظفين الفرنسيين واقرانهم من التونسيين , ومن ثم الدعوة على تحرير المرأة , ولمزيد من التفاصيل ينظر صلاح العقاد , المغرب العربي من الاستعمار الفرنسي إلى التحير القومي , ج2 , القاهرة , دار الطباعة الحديثة , ص137

الحزب الشيوعي الذي كان يتوجه إلى الطبقات الكادحة وكان يبذل ما بوسعه في سبيل وحدة الأراضي التونسية , وهنالك أيضاً الشبيبة التونسية (التي تضم طلبة الجامع الأعظم وكذلك القدامى منهم) كانت حركة منظمة ونشيطة , أما أشكال العمل فكانت مختلفة فالأحزاب السياسية كانت تلجأ إلى طرق العمل التقليدية من مقالات صحفية ولوائح واجتماعات وإضرابات ومظاهرات عامة , وقد وحدت التشكيلات السياسية جهودها في عام 1945 اندلعت الحرب العالمية الثانية , وشهد الأراضي التونسية عمليات حربية عنيفة بين الألمان والحلفاء , وحاول << الباي محمد المنصف >> الذي أصبح الأمير على تونس , استغلال الفرصة , وكان كما قلنا من قبل يكره الاحتلال ويسعى للاستقلال , فاتخذ عدة خطوات ضد المحتل الفرنسي , وعزل رجالهم الموالين لهم في الحكومة , فقام الفرنسيون بعزله ثم نفيه إلى الجزائر حيث مات هناك[30]

المَبحَث الثالث ...

أولاً الحركة الوطنية التونسية خلال الحرب العالمية الثانية :-

خلال الحرب العالمية الثانية قامت الحكومة الفرنسية بتجنيد الآلاف من التونسيين في الحرب إلى جانبها واستعملت أساليب الترهيب تارة والترغيب تارة أخرى في حمل التونسيين على ركوب البواخر والسفن التي كانت تنقلهم إلى ميادين القتال في فرنسا وبلجيكا وقد عبر التونسيين عن احتجاجهم في زجهم بتلك الحرب بأن أعلنوا العصيان الذي اتسع نطاقه ليشمل الجنود التونسيون الذين كانوا يرابطون في تونس وخاصة في تونس العاصمة ومدينة القيروان وقابس , وجابهت السلطات الفرنسية هذه الأعمال بمنتهى القسوة حتى أنها كانت قد جردت الجنود التونسيين من أسلحتهم طوال مدة الحرب[31] 0ولما هزمت فرنسا في عام 1940 اشتد ساعد الحركة الوطنية في تونس فتقدم وفد يمثل الحزب الدستوري الجديد برئاسة الدكتور ثامر بمذكرة إلى الباي أحمد الثاني في 30 حزيران 1941 طالب بها بإلغاء الحماية الفرنسية على تونس وبالإفراج عغن المعتقلين السياسيين لكن السلطات الفرنسية اعتقلت الوفد قبل أن يسلم المذكرة إلى الباي , كما لاقى وفد آخر كان قد تقدم بدوره بمذكرة بعد بضعة أسابيع إلى الباي نفس المصير وزج به في السجن ثم اخلي سبيله بعد بضعة أسابيع بتدخل من الباي ومن جهة أخرى زاد الشعب العربي في تونس من مقاومته للسلطات الفرنسية خلال الحرب ونشبت ثورات عنيفة ضد الفرنسيين كثورة دقاش على سبيل المثال أسفرت عن اعتقال المئات من الثوار[32] برز عامل جديد على مسرح الأحداث في تونس عندما أعتلى على عرشها الباي (محمد المنصف) في 19 حزيران 1942 وكان معروفاً بمواقفه الوطنية , وبتأييده إلى الحزب الدستوري الذي كان عضواً فيه منذ عام 1922 , فقد شجع الروح الوطنية , ودافع عن كرامة عرشه وحقوق شعبه فرفع مذكرة إلى حكومة فيشي[33] طالب بها احترام سيادة تونس وبإلغاء اتفاقية المرسى وتحقيق رغبات الشعب أدت تلك المذكرة إلى حدوث توتر في العلاقات بين الباي محمد المنصف وبين السلطات الفرنسية في تونس التي كانت تعارض حكومة فيشي , على إن الأزمة سرعان ما انفجرت بينهما فقد وعدت السلطات الفرنسية في تونس الباي بتلبية مطاليبه وبدأت في الوقت ذاته على التخلص منه [34] 0

ثانيا : الإدارة الفرنسية في تونس

نزلت قوات المحور في تونس في 9 تشرين الثاني من عام 1942 عقب اتفاق تم بينها وبين حكومة فيشي وانسحبت القوات الفرنسية من تونس إلى الجزائر[35] , استغل السجناء السياسيون هذا الظرف للفرار من سجونهم ولاستئناف نشاطهم من جديد لاسيما بعد أن تناهت إلى أسماعهم أنباء مفادها إن السلطات الفرنسية كانت تزمع نقلهم إلى ما وراء خطوط القتال[36]0وبعد اشتباكات مع حراس السجن قتل وجرح

---

[30]1- الطاهر عبد الله , المصدر السابق , ص60 0

[31]1- علاء الفاسي , محاضرات في المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى , القاهرة , مطبعة النهضة , 1955, ص102 0

[32]2- الطاهر عبد الله , المصدر السابق , ص66 0

[33]1- حكومة فيشي : وهي الحكومة التي تأسست في فرنسا بعد سقوط باريس بأيدي الألمان في حزيران عام 1940 أثناء الحرب العالمية الثانية وكانت برأسة المارشال بيتان , والذي أعلن بياناً على الشعب الفرنسي قال فيه (إن على البلاد أن توقف القتال , وكان قد أتخذ من مدينة فيشي مقراً له باكورة اعمالها أنها قدمت طلباً إلى الألمان بوقف القتال تمهيداً لعقد هدنة بين ألمانيا وفرنسا ووافق الألمان على الطلب بيتان وفي 22 حزيران 1940 وقع الفرنسيون شروط الهدنة مع ألمانيا : لمزيد من التفاصيل عن حكومة قيشي ينظر : خليل علي مراد وآخرون , دراسات في التأريخ الأوربي الحديث والمعاصر , الموصل , مطبعة مديرية الكتب للطباعة والنشر , 1988 ,ص387 0

[34]2- جاسم محمد حسن العدول وآخرون , تأريخ الوطن العربي المعاصر , الموصل , جامعة الموصل , مطبعة أبن الأثير للطباعة والنشر , 2005 , ص515 0

[35]1- محمد العربي الزبيري , تأريخ الجزائر المعاصر 1954 – 1962 , ج2 , دمشق , مطبعة اتحاد الكتاب العرب , 1999 , ص127 0

[36]2- الحبيب ثامر , المصدر السابق , ص102 .

خلالها عدد من السجناء نجح السجناء أخيراً من الخروج من السجن , وعلى أية حال أصدرت السلطات الفرنسية الجديدة الموالية إلى حكومة فيشي أمراً يقضي بإطلاق سراح كافة السجناء السياسيين في جميع السجون التونسية في كانون الأول من عام 1942[37] , وعاد الحزب الدستوري الجديد إلى مزاولة نشاطه بقيادة الدكتور الحبيب ثامر فأسس منظمة للشباب ضمت الآلاف من الشباب الذين أقيمت لهم معسكرات لتدريبهم على استخدام السلاح[38] , وبدأ الحزب حملة توعية بين صفوف المواطنين عن طريق مندوبين عنه كانوا يطوفون في كل أرجاء تونس وأصدر الحزب صحيفة يومية جديدة باسم (أفريقيا الفتاة)[39] وحاول محمد المنصف بدوره أن يسترد بعض من سلطاته التي كانت فرنسا قد سلبته منه فألف وزارة اختار أعضاؤها بنفسه دون استشارة المقيم العام كخطوة أولى نحو تحقيق تطلعات الشعب في تسلمه مقاليده بنفسه , لكن تطورات الحرب حالت دون إتمام الوقوف على الحياد بالرغم من العروض السخية التي عرضها الألمان عليه في حالة انحيازه إلى جانبهم وكان من ضمن تلك الامتيازات هو إنهاء الحماية وضم إقليم قسطنطينية ومن الواضح إن محمد المنصف رفض التعاون مع دول المحور لعدم ثقته بهم من ناحية ولتدهور مركزه العسكري في ذلك الوقت من جهة أخرى[40] لم تحترم القوات المتحاربة حياد تونس بل أقحمتها في آتون الحرب فكان أن تعرضت العاصمة التونسية والمدن الأخرى التونسية إلى غارات جوية عنيفة لدرجة إن مدناً كبيرة مثل مدينة سوسة أصبحت خراباً فضلاً عن أسفرت تلك الغارات من تشريد الآلاف من السكان التونسيين , ومما تجدر الإشارة إليه إلى إن قوات المحور أخضعت تونس دون سائر المستعمرات الفرنسية في شمال أفريقيا إلى سيطرتها المباشرة , ذلك لأنها اختارت أراضيها كقاعدة لصد الهجمات التي تقوم بها قوات الحلفاء عبر طرابلس من الشرق وعبر الجزائر من الغرب ولذلك شهدت تونس معارك دامية بين قوات الحلفاء من جهة وبين قوات المحور من جهة أخرى[41] طالب كل من الباي محمد المنصف والحزب الدستوري الجديد سلطات المحور بإطلاق سراح الحبيب بو رقيبة وبقية الزعماء المعتقلين في السجون الفرنسية وإعادتهم إلى تونس[42] , فاستجابة السلطات الفرنسية إلى ذلك الطلب أملاً في تقوية مركزها في تونس , فأخلت سراح المعتقلين من سجون فرنسا ونقلتهم إلى روما فنزلوا ضيوفاً على الحكومة الإيطالية في روما وكان ذلك بتأريخ 9 كانون الثاني 1943 وحاولت إيطاليا استغلال وجود الحبيب بو رقيبة على أراضيها للدخول في مفاوضات معه ولكن تلك المحاولات كانت قد باءت بالفشل بعد أن اشترط بو رقيبة إعلان استقلال تونس قبل البدء بالمفاوضات , وكان ذلك الموقف سبباً في اعتقاله من قبل السلطات الايطالية وتأخر عودته إلى تونس ولم يسمح له بمغادرة روما إلا بعد أن تدخل الباي (محمد المنصف) في الموضوع , وبعد الضغط الذي مارسه الشعب التونسي ضد إيطاليا غذ تظاهر أمام المفوضية الايطالية في تونس احتجاجاً على احتجاز بو رقيبة وأخيراً عاد بو رقيبة هو وزملائه إلى تونس في 8 نيسان 1943 [43] 0

استقر رأي بعض القادة من الحركة الوطنية في تونس على ضرورة السفر إلى أوربا لعرض قضية بلادهم فيها لاسيما وإن السلطات الفرنسية كانت تحول دون تسرب أية أنباء عن الأوضاع في تونس وفي غيرها من أقطار المغرب العربي إلى الخارج ولدعوة الجاليات العربية في أوربا إلى الإسهام في الحركة الوطنية وقد أثمرت جهود هؤلاء في فتح مكتب إعلامي في باريس وآخر في برلين وسمي الأخير بمكتب المغرب العربي وكان يصدر صحيفة باسم صحيفة المغرب العربي باللغتين العربية والألمانية[44] 0

ولم تطل فترة بقاء قوات المحور في تونس إذ عادت جيوش الحلفاء إلى احتلال تونس في 8 مارس 1943 [45] وعاد الفرنسيون معهم وشرعوا بموجة جديدة من الاضطهاد ضد التونسيين فبدئوا بالباي محمد المنصف إذ اقتادوه إلى مقر المقيمية العامة بصحبة عدد من وزرائه , وانزلوا بهم أنواع الاهانات ومن ثم طلبوا من الباي التنازل عن العرش بحجة إن بقاؤه يشكل تهديداً على الأمن الداخلي والخارجي إلى تونس ,

---

[37]3- جون هاتش , تأريخ أفريقيا بعد الحرب العالمية الثانية , ترجمت عبد العليم السيد منسي , القاهرة , مطبعة دار الكاتب العربي للطباعة والنشر , 1969 , ص432 .

[38]4- الحبيب ثامر , المصدر السابق , ص104 .

[39]5- وهي صحيفة التي أصدرها الحبيب ثامر بعد خروجه من السجن في عام 1942 ينظر الطاهر عبد الله , المصدر السابق , ص67 .

[40]1- مصطفى العقاد , المصدر السابق , ص189 .

[41]2- الحبيب ثامر , المصدر السابق , ص103 .

[42]3- جاسم محمد العدول وآخرون , المصدر السابق , ص516 .

[43]1- الطاهر عبد الله , المصدر السابق , ص75 .

[44]2- محمد عبد الله عودة إبراهيم ياسين الخطيب , تأريخ العرب الحديث , بغداد مطبعة الأهلية للنشر والتوزيع , 1989 , ص112 .

[45]3- محمد رزوق , دراسات في تأريخ المغرب , ط1 , الدار البيضاء , مطبعة أفريقيا الشرق , 1990 , ص122 .

وبعد ذلك نفته إلى مدينة الاغواط في الجزائر , واتبعت المعاملة ذاتها مع الحبيب بو رقيبة وحالت دون نشر نداء كان قد أصدره لدى دخول الحلفاء إلى تونس ناشد فيه الشعب التونسي إلى التعاون معهم ضد العدو المشترك وقد استهدفت فرنسا من إجرائها الأخير الحيلولة دون حصول الحبيب بو رقيبة على أي عطف من الحلفاء وبالتالي الانفراد به وهكذا فقد فرضت فرنسا الإقامة الجبرية على بو رقيبة في تونس العاصمة كما فرضت حضراً على نشاط الحزب الدستوري الجديد ثم راحت تضطهد الشعب بحجة إنه اظهر شماتة بهزيمة فرنسا وأصدرت أوامرها بإعدام المئات من المواطنين بحجة تعاونهم مع أعدائهم فاعدموا رمياً بالرصاص دون محاكمة تذكر وألقت المئات منهم في السجون ودمرت المدن والقرى الآمنة وصودرت أملاك التونسيين دون حق يذكر[46] .وبعد ذلك أقدمت فرنسا على سن قانون جديد للجنسية , يجيز سحب الجنسية التونسية وإعطاء الجنسية الفرنسية مكانها لمن يطلبها , وبالتالي يصبح حاملها من رعايا فرنسا ويستحق حمايتها ودعمها , فرد المسلمون على هذا القانون اجتماعيا وعقدياً , فقاطعوا كل مسلم طلب الجنسية الفرنسية , وعدوه خارجاً عن الإسلام ر يصح دفنه في مقابر المسلمين , وهذه القوة في مواجهة القانون , جعلت كثيراً ممن أقدم على التجنس , يتخلى عن الجنسية الفرنسية ويعود لأصله , واغتاظ الفرنسيون بشدة من ذلك , وقام المستوطنون الفرنسيون بأعمال استفزازية لمسلمي تونس[47] .أثارت تلك السياسة القمعية التي مارستها فرنسا ضد الشعب التونسي غضباً شديداً في أوساط الشعب التونسي واعتبرت عزل الباي محمد المنصف اعتداءً على السيادة التونسية وإن تنازله عن العرش تم بوسائل الإكراه وظل يعتبره الحاكم الشرعي للبلاد , واستغل الحزب الدستوري الجديد مشاعر الاستياء الأمر الذي استطاع معه أن ينجح في عقد مؤتمر في شباط عام 1945 دعى فيه إلى ضرورة منح تونس استقلالاً ذاتياً[48] , وإزاء تعنت فرنسا في الاستجابة إلى مطاليب الشعب التونسي قررت الحركة الوطنية التونسية الاتصال بالجامعة العربية في محاولة للحصول على دعم منها وغادر بو رقيبة تونس في طريقه إلى القاهرة في 26 آذار 1945 فوصلها في 16 نيسان 1945 وقد تولى صالح بن يوسف قيادة الحزب الدستوري الجديد أثناء غياب بو رقيبة في القاهرة , بذل صالح بن يوسف جهوداً كبيرة لتقوية الحزب , ولكسب مؤيدين جدد إليه , وبالرغم من العقبات الكثيرة التي كانت السلطات الفرنسية تضعها في طريقه , اختلقت عدداً من الأحداث بقصد الإيقاع بين الشعب وبين الحزب الدستوري الجديد مثل حادثة الطابور التي جرت في آب من عام 1946 , وحادثة زرمدين عام 1946 قد قابلت القوات الفرنسية الثورة التي اندلعت في زرمدين وهي قرية تقع على الساحل التونسي بأساليب غاية في القسوة والعنف[49] 0أدركت الحركة الوطنية التونسية أهمية وحدتها للتصدي إلى بطش السلطات الفرنسية فعقدت مؤتمراً سرياً في تونس العاصمة في 2 آب من عام 1946 عرف بمؤتمر ليلة القدر حضره ممثلون عن الحزب الدستوري الجديد وآخرون عن الحزب الحر الدستوري إضافة إلى عدد من الشخصيات التونسية البارزة[50] , وقد دعى المؤتمر إلى وضع حد لنظام الحماية والمطالبة بالاستقلال التام والانظام إلى الجامعة العربية , وقد اقتحمت القوات الفرنسية المؤتمر بعد أن علمت بمكان انعقاده واقتادت معظم الذين شاركوا في ذلك المؤتمر إلى السجن , وتسبب هذا الموقف في نشوب مظاهرات تأييداً للمؤتمر واحتجاجاً على موقف السلطات الفرنسية منه .حاولت السلطات الفرنسية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية إرضاء الحركة الوطنية فطرحت مشروعاً للإصلاح يستند إلى تأسيس حكومة أعضاؤها من التونسيين والنصف الآخر من الفرنسيين وعلى الحد من النفوذ الفرنسي في تونس وقد رفضت الحركة الوطنية المشروع لأنه لم يتضمن اية استجابة إلى مطاليب مؤتمر ليلة القدر , وأعلنت فرنسا مشروعاً جديداً للإصلاح في آب 1947 وقد رفضته الحركة الوطنية أيضا[51] كان بو رقيبة قد انخرط خلال وجوده في مصر في لجنة تحرير المغرب العربي وعمل في الأمانة العامة له لكنه فصل منها في أعقاب ما تردد عن قيامه باتصالات مع الملحق العسكري في السفارة الفرنسية في القاهرة بهدف عقد معاهدة مع فرنسا الأمر الذي عُدَ خروجاً عن المقررات التي أصدرتها لجنة تحرير المغرب العربي في القاهرة في عام 1947 ونصت علاوة على قرارات أخرى على عدم السماح لأي حزب أو حركة بإجراء اتصالات منفردة مع السلطات الفرنسية , عاد بو رقيبة إلى تونس في أيلول من عام 1949 واستلم من جديد

---

[46]1- جميل بيضوي وآخرون , تأريخ العرب الحديث , ط2 , أربد , الأردن , دار الأمل للنشر والتوزيع , 1992 , ص123 .

[47]2- موقع انترنيت , الاستقلال التونسي 1955 .

[48]3- جاسم محمد العدول وآخرون , المصدر السابق , ص517 .

[49]1- الطاهر عبد الله , المصدر السابق , ص76 .

[50]2- جلال يحيى , المصدر السابق , ص698 .

[51]3- جلال يحيى , المصدر السابق , ص701 .

رئاسة الحزب الدستوري الجديد وقيادة الحركة الوطنية وسافر في نيسان من العالم التالي إلى باريس حاملاً معه مشروعاً يتألف من سبع نقاط وهي :-

1. إحياء السلطة التنفيذية التي تعتبر جوهر السيادة الوطنية
2. تأسيس حكومة تونسية خالصة يرأسها وزير تونسي يعينه الباي 0
3. إلغاء منصب المقيم العام الذي يسيطر عملياً على مقاليد الحكم في تونس.
4. إلغاء منصب المراقبين المدنيين 0
5. حل الجندرمة الفرنسية التي كانت ترتبط بوزارة الدفاع 0
6. تأسيس مجالس بلدية منتخبة 0
7. تشكيل مجلس وطني عن طريق الانتخابات لوضع دستور ديمقراطي لتونس على أن تحدد العلاقات بين تونس وفرنسا مستقبلاً على أساس احترام السيادة التونسية والمصالح الفرنسية معاً[52] 0

كانت العقبة الرئيسية التي اعترضت طريق المفاوضات بو رقيبة مع الحكومة الفرنسية هو إصرار الأخيرة على عدم الاعتراف بالحزب الدستوري الجديد ممثلاً شرعياً لتونس , وواصلت التأكيد على عدم الاعتراف بغير الباي مفاوضاً شرعياً , وقد بلغ من تشكيك بعض الساسة الفرنسيين بالحزب الدستوري الجديد أن اتهموه بالعمالة الشيوعية الدولية, ولنفي هذه التهمة أنضم الاتحاد العام التونسي للشغل إلى الاتحاد الدولي للعمال الأحرار الذين كان يناهض الشيوعية الدولية[53] استقر رأي الحكومة الفرنسية على أن تأخذ بيدها المبادرة لحل القضية التونسية فأصدرت تصريحاً في حزيران عام 1950 أعربت فيه عن نيتها في منح تونس استقلالاً ذاتياً ومهدت لهذه السياسة الجديدة بأن عينت بيريلي مقيماً عاماً جديداً على تونس وهو من غير العسكريين وتقرر تشكيل حكومة تونسية جديدة برئاسة محمد شنيق لتتولى إدارة دفة المفاوضات مع فرنسا[54] أشارت سياسة فرنسا الجديدة معارضة شديدة في أواسط المستوطنين الفرنسيين في تونس فقدموا مجموعة من المطالب تضمنت التأكيد على سيادة فرنسا على تونس وإنذار الباي بضرورة احترام المعاهدات وفصل الموظفين الذين ينتمون إلى الحزب الدستوري الجديد من وظائفهم[55] , ورضخت السلطات الفرنسية إلى ذلك الضغط فقد صرح المقيم الفرنسي في تونس في 17 تشرين الأول 1950 بأن المشكلة السياسية ليست ملحة في تونس وبأن الحكومة الفرنسية ستوجه اهتمامها من الآن فصاعداً إلى المشاكل الاقتصادية والاجتماعية[56] , ومرة أخرى تصدت الطبقات العاملة التونسية للرد على السياسة التعسفية لفرنسا ونظم العمال الزراعيون مظاهرات في (انفيدافيل) وقدموا عدداً من الضحايا واتخذت الحكومة الفرنسية من تلك الحوادث ذريعة لإعلان الأحكام العرفية من جديد ولاعتقال عدد من الزعماء الوطنيين , فرنسا فأصدرت مجموعة من المراسيم الإصلاحية الجديدة وكان ذلك في عادت 8 شباط من عام 1951 وعلى الرغم من إن هذه الإصلاحات كانت دون المستوى المطلوب إلا إنها مست جوهر نظام الحماية وأبرزن للمرة الأولى منذ إعلان نظام الحماية شخصية السلطة التنفيذية التونسية فأصبح الوزير الأكبر التونسية رئيساً للإدارة العامة في تونس وانتقلت إليه رئاسة مجلس الوزراء بعد أن كان المقيم الفرنسي العام يتولى رئاسته[57] لم يكن من السهل على السلطات الفرنسية في تونس أن تتقبل الوضع الجديد الذي أوجدته مراسيم 8 شباط عام 1951 فحاولت خلق المتاعب للحكومة التونسية ومثال ذلك إن المقيمية الفرنسية العامة طالبت بإقصاء أحد الوزراء في الحكومة التونسية من منصبه وكان عضواً في الحزب الدستوري الجديد[58] 0

ومما تجدر الإشارة إليه فقد غادر رئيس الحكومة التونسية إلى باريس في منتصف تشرين الأول عام 1951 وفي 31 منه سلم مذكرة رسمية إلى الحكومة الفرنسية ضمنها خمسة مطاليب لكن الحكومة الفرنسية رفضتها وأصرت على انتهاج سياسة من شأنها الإبقاء على سيادة الحكومة التونسية وسيادة المقيم الفرنسية العام وهكذا فشلت المفاوضات وعاد رئيس الحكومة التونسية إلى بلاده[59] , وعلى أثر فشل المفاوضات

---

[52]1- الحبيب عامر , المصدر السابق , ص414 .
[53]2- جميل بيضوي وآخرون , المصدر السابق , ص111 .
[54]1- عباس العقاد , المصدر السابق , ص197 .
[55]2- المصدر نفسه , ص199 .
[56]3- جميل بيضوي وآخرون , المصدر السابق , ص112 .
[57]4- جاسم محمد العدول وآخرون , المصدر السابق , ص521 .
[58]1- الحبيب عامر , المصدر السابق , ص418 .
[59]2- عباس العقاد , المصدر السابق , ص200 .

حدثت موجة من الإضرابات استغرقت ثلاث أيام , عينت على أثرها الحكومة الفرنسية مقيماً جديداً وهو (دي هوتكلوك) وكان من العسكريين ووصل على ظهر سفينة حربية أراد من ذلك إنه يريد إتباع سياسة قمعية في تونس , وإزاء تلك التطورات قرر الحزب الدستوري الجديد عقد مؤتمر استثنائي في كانون الثاني عام 1952 لدراسة الموقف ولاتخاذ ما يلزم من قرارات بشأنه وبحث إمكانية إحالة قضية تونس إلى الأمم المتحدة أسوة بالقضية المغربية وأرسلت الحكومة التونسية من جانبها وفداً إلى باريس حاملاً النص الرسمي للشكوى التي تنوي عرضها على مجلس الأمن التابع إلى الأمم المتحدة[60] 0

وفي 15 كانون الثاني عام 1952 سلم المقيم الفرنسي العام رسالة إلى باي تونس من وزير الخارجية الفرنسي يطلب إقالة وزارة (محمد شنيق) , وبعد ذلك أصدرت المقيم الفرنسي العام أمراً منع بموجبه الحزب الدستوري الجديد من عقد مؤتمر الثاني , ولم تثني تلك الإجراءات الحركة الوطنية من ممارسة ومواصلة نضالها من أجل الحصول على استقلال تونس وإعلانها دولة مستقلة عن فرنسا[61]0

ثالثاً : إعلان الثورة في تونس كانون الثاني :

أعلن الشعب التونسي الثورة ضد فرنسا في 18 كانون الثاني 1953 وكانت الشرارة التي أشعلت تلك الثورة هو اعتقال بو رقيبة مع عدد من قادة الحزب وتحول إلى ثورة بإعلان إضراب عام في تونس سرعان ما أتسع نطاقه فأعلنت الأحكام العرفية ومنعت الاجتماعات العامة وفرضت حضر التجول وعطلت بعض الصحف , فيما فرضت رقابة مشددة على بعض الأحزاب وكانت الدوريات العسكرية تجوب في كل المدن التونسية وشرعت المحاكم العسكرية بإصدار أحكام جائرة بحق الثوار تراوحت أحكامها بين إعدام والسجن , حضت الثورة في تونس بتأييد الرأي العام العالمي , فقد وقفت الأقطار العربية في الأمم المتحدة إلى جانب القضية التونسية وتقدمت (13) دولة آسيوية وإفريقية بمشروع إلى الأمم المتحدة يقضي بإطلاق سراح المعتقلين وباستئناف المفاوضات من تونس[62] , ورداً على ذلك فقد قامت السلطات الفرنسية باعتقال محمد شنيق وعدد من أعضاء حكومته وزجهم في احد المعتقلات في أقصى الجنوب التونسي , وزاد هذا الإجراء من تفاقم الثورة , وقام عدد من قادة الحركة الوطنية بمهمة تأسيس مراكز إعلامية خارج تونس لنشر أنباء الثورة وفضح السياسة الفرنسية في تونس قابل الشعب التونسي وزارة (صلاح بكوش) التي تشكلت خلفاً لوزارة (محمد المنصف) بمشاعر من الازدراء وجرت محاولات عديدة لاغتياله , أما الباي (محمد المنصف) الذي كان قد رفض أكثر من مرة محاولة المقيم العام الفرنسي في إقالة وزارة (محمد شنيق) وبالتنديد بسياستها فقد ترك قصره في العاصمة وغادرها في عام 1952 إلى قرطاجة وانسحب من الحياة السياسية احتجاجاً على السياسة الفرنسية في تونس , أما بالنسبة إلى فرنسا فإنها كانت قد ردت على ذلك الإجراء بأن استمالت ولي عهده عز الدين وأغرته في الظهور في المناسبات العامة عوضاً عن الباي , إلا أنه كان قد اغتيل على يد حركة المقاومة في 2 تموز عام 1953[63] 0أما بالنسبة إلى فرنسا فقد عادت من جديد إلى إتباع سياسة الترضية إذ استقر رأي المقيم الفرنسي العام (دي هوتكلوك) على طرح مشروع جديد للإصلاح[64] وقد دفعه إلى عمل ذلك عدت عوامل منها محاولته دعم مركز حكومة (عز الدين بكوش) وإنهاء الثورة التونسية , كما أنه قام يقطع الطريق أمام الشكاوى التي قدمتها الحركة الوطنية التونسية إلى الجامعة العربية وهيئة الأمم المتحدة وفي 15 كانون الثاني 1952 سلم المقيم الفرنسي العام رسالة إلى باي , وأحال الباي (عز الدين) مشروع الإصلاح إلى لجنة قوامها (40) عضواً لدراسته وقد رفض هؤلاء المشروع بالإجماع في 7 أيلول 1952 , وزاد ذلك الموقف حماسة الشعب التونسي فشن هجمات على المصالح الفرنسية بموجة من أعمال الانتقام في تونس , وبالمقابل قابل المستوطنون الفرنسيون بموجة من

---

[60]3- تأسست هيئة الأمم المتحدة بعد مجئ هاري ترومان (**Harry Truman**) إلى الحكم بفترة قصيرة وكان روزفلت قد وضع أسسها خلال فترة الحرب , حينما اجتمع مع رئيس وزراء بريطانيا (ونستون تشرشل **Winston Churchill**) في الرابع عشر من آب / 1941 على متن إحدى البوارج البريطانية , حيث تم التوقيع على وثيقة عرفت فيما بعد باسم (ميثاق الأطلسي) .وتضمنت مبادئ تشبه إلى حد ما تلك المبادئ التي نادى بها ولسن على أثر الحرب العالمية الأولى , فقد تمحورت مبادئ الوثيقة حول إقامة نظام للأمن العام وضمان السلم الدولي لعالم ما بعد الحرب . ورغم إن هذه المبادئ قد وضعت من الولايات المتحدة وبريطانيا إلا إنها صيغت بشكل لا يتعارض مع النظام السوفيتي الأمر الذي لم يمنع ستالين من الاتفاق معها في وجه العدو المشترك والخطر الأكبر الذي مثلته ألمانيا , وبذلك تشكلت الأمم المتحدة ينظر : علي سفيق , العلاقات الدولية في العصر الحديث , مكتبة المعارف للنشر والتوزيع , الرباط . ص93 .

[61]1- جاسم محمد العدول وآخرون , المصدر السابق , ص522 .

[62]1- يونس درمونة , تونس بين الحماية والاستقلال و القاهرة , مطبعة الرسالة , دون تأريخ , ص119 .

[63]1- الحبيب عامر , المصدر السابق , ص424 .

[64]2- يونس درمونة , المصدر السابق , ص120 .

أعمال الانتقام والإرهاب قامت بها جماعة اليد الحمراء وفي العام التالي قررت الحركة الوطنية التونسية التصدي للانتخابات البلدية وإفشالها , فبدأت باغتيال الخونة الذين رشحوا أنفسهم لتلك الانتخابات وردت السلطة الفرنسية على تلك الخطوة بأن اعتقلت العديد من أعضاء الحزب الدستوري الجديد بحجة إن لهم يد في عمليات الاغتيال تلك , وإزاء تلك المواقف قررت فرنسا أن تقدم بعض التنازلات إلى تونس فعينت مقيماً عاماً جديداً هو (فوزار) في أيلول 1953 , واستهل حكمه بان أعلن أن تونس في طريقها إلى الحصول على حقوقها المشروعة في نطاق السيادة الوطنية وقد أدى ذلك الإعلان إلى نوع من الاستقرار كما قام بعملية إطلاق سراح عدد من السجناء السياسيين وألغى الرقابة على الصحافة , وسعى على استمالة الباي محمد المنصف بهدف إنجاح مشروع الإصلاح الذي كان يعزم القيام به0

تكللت جهود المقيم الفرنسي مع الباي بالنجاح إذ اتفقا على إسناد الوزارة إلى محمد صالح مزالي , وبعد أن انتهى من إعداد مشروع الإصلاح فتقرر الاستغناء عن وزارة (صلاح الدين بكوش) فقدمت استقالتها في أواخر شباط عام 1954 وتشكلت حكومة جديدة برئاسة (محمد صالح مزالي) في آذار من العام نفسه , أعلن مشروع الإصلاح في 4 آذار 1654 وبمقتضاه أصبحت غالبية أعضاء مجلس الوزراء غالبيتهم من التونسيين وألغي المجلس الكبير واستبدل بمجلسين احدهما خاص بالتونسيين والآخر بالفرنسيين وتخلصت الحكومة التونسية نوعاً ما من السيطرة الفرنسية , غلا إن الشعب التونسي كان قد استقبل مشروع الإصلاح بنوع من الاعتقالات طالت أعضاء من الحركة الوطنية التونسية وحدثت اشتباكات بين الطرفين , وفي محاولة منها لكبح جماح الثورة فقد أسندت إدارة البلاد إلى السلطات العسكرية ووضعت قادت الحزب الدستوري تحت الإقامة الجبرية .اضطرت الحكومة الفرنسية إزاء اشتداد الثورة إلى تغيير سياستها وكانت أولى بوادر ذلك التغيير هو نقل بو رقيبة من منفاه في إحدى جزر المحيط الأطلسي إلى فرنسا في 17 تموز عام 1954 وتعيين مقيم عام فرنسي جديد , فضلاً عن ذلك فقد قام (منديس فرانس) الذي تولى رئاسة الحكومة الفرنسية في 14 حزيران 1954 بزيارة إلى تونس في 31 من العام نفسه[65] أعلن خلالها على منح تونس حكماً ذاتياً على أن يتم تحديد شكل العلاقة بين تونس وفرنسا عن طريق المفاوضات , وتشكلت في آب عام 1954 حكومة برئاسة طاهر بن عمار للقيام بالمفاوضات , وكانت تضم ثلاثة وزراء من الحزب الدستوري الجديد , بدأت المفاوضات بين الجانبين التونسي والفرنسي في 4 أيلول 1954 ثم انتقلت إلى باريس في 13 من الشهر نفسه واستمرت حتى 3 حزيران عام 1955 , ومن الجدير بالذكر إن تياراً معارضاً لإجراء المفاوضات مع فرنسا ظهر وأصر على مواصلة الثورة , وكان يتزعم هذا التيار الحزب الحر الدستوري الذي استأنف نشاطه من جديد , وخلال فترة المفاوضات وجه المقيم العام الفرنسي نداء إلى الثوار طالبهم فيه تسليم أسلحتهم إلى السلطات الفرنسية واعداً إياهم بالعفو , ولم يطمأن الثوار إلى هذا الطلب بل أنهم كانوا قد شددوا من عملياتهم , اضطر المقيم الفرنسي على أثرها إلى وضع شروط جديدة لإنهاء القتال في تونس بالاتفاق مع الحكومة التونسية , وصدر بلاغ مشترك بهذا المعنى في 16 تشرين الثاني 1954 , وبموجب هذه الشروط تعهدت الحكومة التونسية والمقيمية العامة بضمان سلامة الثوار , وفي 3 حزيران عام 1955 تم التوقيع بين الطرفين على الاتفاقية بصورة رسمية , إلا إن تلك الاتفاقية كانت قد أثارت نوع من الانقسامات بين صفوف الحزب الدستوري الجديد فقد أعلن صالح بن يوسف الأمين العام للحزب الدستوري الجديد عن معارضته للاتفاقية وطالب بضرورة حصول تونس على الاستقلال التام وتوحيد النضال في بلاد المغرب العربي , إلا إن الحكومة التونسية أصدرت أمراً باعتقاله بعد أن اكتشفت مخابئ للذخيرة والسلاح تعود إلى الأمانة العامة للحزب ففر بن يوسف إلى لبيا , حيث بدأ ينضم حركة الكفاح المسلح ضد فرنسا , وإزاء ذلك التطور سافر بو رقيبة إلى فرنسا واقترح عليها منح تونس استقلالاً تاماً أسوة بالمغرب , وهكذا أعلنت الحكومة الفرنسية وبموجب برتوكول أصدرته في 20 آذار عام 1956 استقلال تونس استقلالاً تاماً[66] 0

الخاتمـــة :

في ضوء ما سبق توصل الباحث إلى جملة من الحقائق نحاول أن نستعرضها على النحو الأتي أن الحركة الإصلاحية في تونس ارتبطت بالمشكلة المادية التي نشأت بسبب إسراف البايات وطمع الوزراء ومن ثم العجز الذي أصاب الميزانية العامة للدولة عن مسايرة ما تطلبه وجود الإصلاح المختلفة 0

---

[65]1- عباس العقاد , المصدر السابق , ص207 .

[66]1- زاهية قدورة , تأريخ العرب الحديث , بيروت , دار النهضة العربية للطباعة والنشر , 1975 , ص481 .

1. وفي خلال الحرب العالمية الأولى وقف الشعب التونسي إلى جانب فرنسا آملين أن ينالوا استقلالهم وحق تقرير المصير , وبعد الحرب طالب التونسيون بحقهم في نيل الاستقلال , فنشأ حزب الحر الدستوري التونسي بزعامة عبد العزيز الثعالبي 0
2. وفي عام 1929 قررت فرنسا إقامة مؤتمر عام دعت إليه الغلاة من المسحيين في تونس سمي بالمؤتمر (الافخارستي) وسبب انعقاد المؤتمر هو مرور نصف قرن على الاحتلال الفرنسي لتونس , وقام الحزب الدستوري بشن حملة ضد المؤتمر والذي كان الهدف منه هو استعماري بحت حيث أراد المؤتمرون أن ينشروا فكرة إن الاستعمار الفرنسي على تونس هو عمل شرعي , فقد أتى الفرنسيون إلى تونس من أجل تخليص التونسيين من العرب , إلا إن الحركة الوطنية التونسية استطاعت من الوقوف بوجه مقررات هذا المؤتمر مما أدى إلى فشله بالنهاية .
3. كانت الحركة الوطنية التونسية قد أدركت أهمية وحدتها للتصدي إلى بطش السلطات الفرنسية فعقدت مؤتمراً سرياً في تونس العاصمة في 2 آب من عام 1946 عرف بمؤتمر ليلة القدر وكان السبب من انعقاده هو الوقوف بوجه الاحتلال الفرنسي ومن ثم المطالبة بالاستقلال 0
4. أعلن الشعب التونسي الثورة ضد فرنسا في 18 كانون الثاني 1953 وكانت الشرارة التي أشعلت تلك الثورة هو اعتقال بو رقيبة مع عدد من قادة الحزب البارزين 0
5. وهكذا أعلنت الحكومة الفرنسية وبموجب برتوكول أصدرته في 20 آذار عام 1956 استقلال تونس استقلالاً تاماً 0

قائمة بأسماء المصادر

1. إبراهيم خليل أحمد , تاريخ السيطرة العثمانية على أقطار الوطن العربي, الموصل , مطبعة جامعة الموصل , 1982 0
2. إبراهيم بك خليل , تأريخ الدولة العثمانية العلية , ط1 , عمان , مطبعة مؤسسة المختار , 2004 .
3. أبو القاسم سعد الله ' الحركة الوطنية الجزائرية , ج3 , مطبعة دار العرب الإسلامية , بيروت , 1992 0
4. أبو زيدون , وديع , تأريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط, ط1 , عمان , المكتبة الأهلية للنشر والإعلان , 2003 0
5. الحبيب ثامر , هذه تونس , القاهرة , مطبعة الرسالة , دون تاريخ 0
6. إحسان حقي , تونس العربية بيروت , مطبعة دار الثقافة,1965, ص125.
7. أحمد أمين , زعماء الإصلاح في العصر الحديث , القاهرة و مطبعة المحفظة المصرية , 1949.
8. أحمد بن عامر , زعماء الإصلاح في العصر الحديث , القاهرة , مطبعة المحفظة المصرية , 1949 .
9. جاسم محمد حسن العدول وآخرون , تأريخ الوطن العربي المعاصر , الموصل , جامعة الموصل , مطبعة أبن الأثير للطباعة والنشر , 2005 .
10. جرجي زيدان , تأريخ مصر الحديث , ج2 , ط2 , القاهرة ,مطبعة الأهالي , 1911.
11. جلال يحيى , العالم العربي الحديث , الفترة الواقعة بين الحربين , القاهرة , مطبعة دار المعرف , 1966 .
12. جميل بيضون وآخرون , تاريخ العرب الحديث , ط1 و أربد , الأردن , مطبعة دار الأمل , 1992 .
13. جون هاتش , تأريخ أفريقيا بعد الحرب العالمية الثانية , ترجمت عبد العليم السيد منسي , القاهرة , مطبعة دار الكاتب العربي للطباعة والنشر , 1969 .
14. خليل علي مراد وآخرون , دراسات في التأريخ الأوربي الحديث والمعاصر , الموصل , مطبعة مديرية الكتب للطباعة والنشر , 1988 0
15. زاهية قدورة , تأريخ العرب الحديث , بيروت , دار النهضة العربية للطباعة والنشر , 1975
16. ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ,بيروت د.م, 1957 0
17. سمير أبو حمدون , خير الدين التونسي , بيروت , مطبعة الشركة العالمية للكتاب , 1992 0
18. شوقي الجمل و عبد الله عبد الرزاق إبراهيم , تأريخ أفريقيا الحديث والمعاصر, الرياض, مطبعة دار الزهراء , ط2 , 2002 0
19. صالح الخرفي , عبد العزيز الثعالبي من أثاره واخباره في المشرق والمغرب , توني , مطبعة دار الغرب الإسلامي , 1994 0

20. صلاح العقاد , المغرب العربي من الاستعمار الفرنسي إلى التحير القومي , ج2 , القاهرة , دار الطباعة الحديثة .
21. صالح الخرفي , بعد العزيز الثعالبي من آثاره وأخباره في المشرق والمغرب, ط1,تونس , مطبعة دار الغرب الإسلامي 0
22. الطاهر عبد الله , الحركة الوطنية التونسية , رؤية شعبية قومية جديدة , 1830-1956 , تونس , منشورات دار المعارف للطباعة والنشر , 1993.
23. عبد المجيد نعني , تأريخ الولايات المتحدة الأمريكية , بيروت , مطبعة دار النهضة العربية , 1983 .
24. عبد الملك خلف التميمي , الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي , الكويت , مطبعة الرسالة , 1983
25. علاء الفاسي , محاضرات في المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى , القاهرة , مطبعة النهضة , 1955 .
26. علي شفيق, العلاقات الدولية في العصر الحديث , مكتبة المعارف للنشر والتوزيع , الرباط د0ت .
27. علي المحبوبي و انتصاب الحماية الفرنسية على تونس , تونس , مطبعة دار سراس للنشر , 1986 .
28. محمد الهادي الشريف, ما يجب أن تعرف عن تأريخ تونس ,ط3 , مطبعة دار سراس للنشر , 1993.
29. محمد عبد الله عودة وإبراهيم ياسين الخطيب , تأريخ العرب الحديث , بيروت , مطبعة الأهلية للنشر والتوزيع , 1989 .
30. محمد رزوق , دراسات في تأريخ المغرب , ط1 , الدار البيضاء , مطبعة أفريقيا الشرق , 1990 .
31. محمد العربي الزبيري , تأريخ الجزائر المعاصر 1954 – 1962 , ج2 , دمشق , مطبعة اتحاد الكتاب العرب , 1999 .
32. نيقولا زيادة , تونس في عهد الحماية 1881 – 1962 . ج2 , دمشق , مطبعة اتحاد الكتاب العرب .
33. يونس درمونة , تونس بين الحماية والاستقلال , القاهرة , مطبعة الرسالة , د.ت .

الرسائل والأطاريح ....

34. محمد يوسف إبراهيم , ونستون تشرتشل ودوره في السياسة البريطانية حتى عام 1945 , أطروحة دكتوراه غير منشورة , كلية الآداب جامعة بغداد , 2005 .

الدوريات ....

35.يقظان سعدون العامر , خصوصيات استعمار الجمهورية الفرنسية الثالثة 1870 – 1914 , مجلة المؤرخ العربي , العدد 51 , 1994 1995 0